حول حديث أهل القليب

إلى الأستاذ محمد أبو رية

للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

قال ابن عمر : اطلع النبي صلى الله عليه وسلم فقال « وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقيل له : تدعو أمواتاً ؟ فقال « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون »

وعن عائشة ، قالت : إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق » وقد الله تعالى إنك لا تسمع الموتى

انتهى ما أورده الإمام البخاري في صحيحه في ٢٣ — كتاب الجنائز — ٨٧ — باب ما جاء في عذاب القبر. وقال أستاذ الدنيا في علم الحديث (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في كتابه قاموس السنة المحيط (فتح الباري) ما نصه :

هذا مصير من عائشة إلى رد رواية ابن عمر المذكورة. (وقد خالفها الجمهور في ذلك ، وقبلوا رواية ابن عمر ، لموافقة من رواه غيره عليه) وأما استدلالها بقوله تعالى — إنك لا تسمع الموتى — فقالوا : معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم ، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله . وقال السهيلي : (عائشة لم تحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم) فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قالوا له : يا رسول الله ! أتخاطب قوماً قد جيفوا ؟ « فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال وأما الآية فإنها كقوله تعالى — فإنك لا تسمع الصم أو تهدي العمي — أي إن الله هو الذي يسمع ويهدي إه .

وبعد كلام طويل في كيفية عذاب القبر قال :

(تنبيه) وجه إدخال حديث ابن عمر وما عارضه من حديث عائشة في ترجمة عذاب القبر أنه لما ثبت من سماع أهل القليب كلامه وتوبيخه لهم ، دل إدراكهم الكلام بحاسة السمع على جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس ، بل بالذات ، إذ الجامع بينهما وبين بقية الأحاديث أن المصنف أشار إلى طريق من طرق الجمع بين حديثي ابن عمر وعائشة ، بحمل حديث ابن عمر على أن مخاطبة أهل القليب وقعت وقت المسئلة ، وحينئذ كانت الروح قد أعيدت إلى الجسد . وقد تبين من الأحاديث الأخرى أن الكافر المسئول يعذب . وأما إنكار عائشة فمحمول على غير وقت المسئلة . فيتفق الخبران . اه قول الحافظ .

أقول : وهذا الحديث لم ينفرد به ابن عمر ، بل جاء في صحيح الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال ، وكنت رجلا حديد البصر ، فرأيته ، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري . قال : فجعلت أقول لعمر أما تراه ؟ فجعل لا يراه . قال : يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشي . ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس . يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال : فقال عمر ، فوالذي بعثه بالحق ، ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجعلوا في بئر بعضهم على بعض . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم

فسلم نفسه إلى السلطات وحوكم في قصر « يلدز » بتهمة اغتيال عبد العزيز ولم يجده الدفاع عن نفسه فنفي مكبلا بالحديد إلى الحجاز وسجن في الطائف مع رفاقه وفي اليوم العاشر من شهر نيسان « ابريل » سنة ١٨٨٣ م لقي حتفه مسموماً ودفن بالطائف وبعد دفنه أمر عبد الحميد باحضار رأسه للتأكد من موته وكان الأمر كما أراد [1] .

هذه الفترة العصيبة التي اشتهرت بعبد الحميد كانت مثار قلق وتذمر في البلاد العربية وكان العراق يعمل دائباً للتخلص منها والثورة على الاستبداد وكان في طليعة الثائرين أكابر الشعراء وفي طليعة هؤلاء الشعراء : الكاظمي والزهاوي والرصافي حتى انتهى الاستبداد وعاد الدستور فرحب به الشعراء مشاركين إخوانهم من الأحرار ، وبعد هذا فماذا نحن واجدون في شعر هؤلاء الثلاثة حيال هذه الفترة وما بعدها ؟ ذلك ما سندرسه في دواوينهم التي بين أيدينا .

(يتبع)

ابراهيم الوائلي

(١) لخصنا للفصل الدستور العثماني من كتاب : مدحت باشا للاستاذ الدوري للعجي